هـويــة بــلاد شنقيـط (مـوريتانيا) قبل الاستقلال سنـة ١٩٦٠

الشيخ حماه الله(*)

توطئة :

خلال تاريخ هذه البلاد تفاعلت عناصر عدة في تشكيل هويتها الخاصة، بداية من السكان الأصليين من الأفارقة والبربر، ثم جاء الإسلام إلى هذه البلاد فدخل فيه هذان العنصران بشكل شبه كامل على مراحل تاريخية مختلفة، ثم جاءت هجرة القبائل العربية القادمة من الشمال وانتشرت في مختلف أرجاء هذه البلاد ناشرة ثقافتها ولغتها فتعرب العنصر البربري واختفت لغته لاحقا إلا في مناطق محدودة جدًا، كما انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في أوساط القبائل الإفريقية، وصارت لغة الثقافة في معاقل هذه القبائل هي اللغة العربية وكتابات أهلها إما باللغة العربية أو بحروفها.

عناصر السكان:

رغم تعدد العناصر السكانية في هذه البلاد، فقد دأب دارسو تكوينات المجتمع فيها على تقسيم سكانها تقسيما وظيفيا لكن هذا التقسيم لا يخدم ما نحن بصدد مناقشته فمن هنا قسمناه تقسيما لغويا أو ثقافيا، حيث يمكن إجمال هذه المكونات على الأقل في مرحلة من المراحل في تكوينات ثلاث رئيسية هي المكون الإفريقي والمكون الأمازيغي والمكون العربي، وهذه المكونات وإن تعددت فإنها بطريقة أو بأخرى يجمعها نسيج ثقافي واحد.(١)

(*) ص ص ٢١٥ - ٢٢٨ .

(١) الوضع اللغوي في موريتانيا: مجموعة باحثين تحت إشراف بيار شارتران ، ترجمة عبد الحميد منصور، نشر المدرسة الوطنية للإدارة، انواكشوط، ١٩٨١، ص٢.

المكون الإفريقي: وينقسم إلى ثلاث مجموعات رئيسية هي:

البولار:

وهي جماعة تتواجد في أكثر من منطقة من مناطق البلاد خصوصا المناطق المحاذية لنهر السنغال في منطقة تورو وهي من الجماعات المستقرة التي عاشت مستقلة عن جماعات الفولبي وقد اختلطوا بالجماعات الأخرى مثل الولوف والسراغولي ولغتهم هي لغة الفولبه إلا أنها تختلف في نطقها وفي كلماتها أحيانا تحت تأثير لغات الجماعات التي اختلطت بها.(٢)

وينتشر هذا المكون في أكثر من دولة إفريقية خصوصا غرب القارة مثل مالي وبركنافاسو والكاميرون ونيجيريا ، ونتج عن هذا الانتشار في مختلف الأنحاء الاختلاط بالمكونات الأخرى ، ومن أهم تجليات ذلك الإختلاط أنه يندر مثلا أن تجد بيتا في بعض قرى السوننكي في فوتا أو هايرى إلا وفيه امرأة فلانية. (٣)

ورغم الانتشار الواسع للمجتمع الفلاني واختلاطه بجميع مكونات المنطقة الأخرى إلا أنه ظل محافظا على علاقته الوثيقة بالثقافة العربية الإسلامية رغم ما كانت فرنسا تقوم به في مرحلة لاحقة من خنق لهذه الثقافة ، والتي في ظلها قام الحاج محمود با بإنشاء أول مدرسة أهلية لنشر الثقافة العربية الاسلامية في عموم المنطقة في أربعينات القرن الماضي. (٤)

السوننكي:

ويشكلون كتلة هامة من سكان البلاد وينتشرون في عدة مناطق أهمها منطقة كيدي ماغة التي يشكلون غالبية سكانها وينتشرون بالإضافة إلى موريتانيا في عدة

---

(٢) نصر السيد نصر(مشرفا): الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٨ ، ص ٤٥٤.

(٣) على بكر سيسي: تاريخ المجتمع السوننكي في موريتانيا ، مطبعة طوب بريس ، الرباط المغرب، الطبعة الأولى ٢٠١٢ ، ص ١١٦.

(٤) أبوبكر خالدو با: حركة الفلاح للتربية والثقافة الإسلامية (الحاج محمود با) نسخة مصورة لدى حفيد الحاج محمود با ، نواكشوط ٢٠١٦ ، ص ٢.

بلدان إفريقية مثل مالي وغينيا وساحل العاج وغيرها، وتطلق عليهم أسماء مختلفة في غرب إفريقية فهم يسمون ماركا في السودان الغربي (مالي) ودياكانكي في غينيا.

ويرى بعضهم أن أصولهم تعود إلى حكام امبراطورية غانا القديمة ويستندون في هذا إلى أمور متعددة منها أنهم يسكنون بالفعل في مناطق هذه الإمبراطورية إضافة إلى أنهم اعتنقوا الإسلام قبل غيرهم من القبائل. (٥)

ورغم ما يشاع في بعض الأوساط من تقوقع للمجتمع السوننكي على نفسه إلا أن كثيرا من الدلائل توحي أن هذه الشريحة من أكثر مكونات البلد انفتاحا على الآخر ، ففي مجال المصاهرة من النادر أن تجد قرية سوننكية إلا وفيها امرأة فلانية أو بيظانية أوولفية وفي نفس الوقت تكون أحيانا ضرة لسونونكيات. (٦)

ومما يفند هذا الزعم أيضا أن عددا معتبرا من أبناء هذا المكون خصوصا كتلة كيدي ماغة منه وهي الأكبر بين كتل الشريحة في البلاد، فضلوا الهجرة إلى فرنسا وغيرها من الدول الصناعية للعمل وإن ظلوا مرتبطين بولايتهم من خلال الإمدادات والمعونات التي يرسلونها إلى قراهم ، ومن خلال ترددهم الدائم في الإجازات عليها، وتمثل تحويلاتهم المالية دخلا مهما لهذه المنطقة إلى جانب الزراعة والتنمية. (٧)

وتنتشر اللغة السوننكية في مناطق انتشار هؤلاء، وتتفرع هذه اللغة من لغة الماندیقي، وهي باقية رغم ما طرأ عليها من تطور، وهي قريبة من الماندیقي التي تعتبر اللغة الأم لها ، لكنها خضعت ككل اللغات الزنجية الإفريقية إلى تأثير العربية والفرنسية ولكنها لم تتعرض لنفس التغييرات في نحوها ، وقد قاومت أيضا كل استيعاب من طرف اللهجات الزنجية المحلية الأخرى. (٨)

---

(٥) نصر السيد نصر: مرجع سابق ، ص ٤٥٧.

(٦) علي بكر سيسي: مرجع سابق ، ص ١١٦.

(٧) محمد المحجوب بن بيه: المقاومة السوننكية للاستعمار في كيدي ماغة ، نشر مكتبة القرنين ١٥ -٢١ انواكشوط ، دون ذكررقم الطبعة أو مكانها ، ص ٤٠.

(8) Ba Omar :France parler Toucouleur Bulletin de l I F A N page 581.

الولوف:

وأخيرا هناك جماعة الولوف وهي أقل الجماعات الإفريقية الثلاث الرئيسية عددا وهي المجموعة الأساسية في السنغال المجاور.[٩]

ولا تختلف هذه الفئة عن الفئات الإفريقية الأخرى في كونها لها لغتها الخاصة بها وتنتشر هذه اللغة في المناطق المحاذية لنهر السنغال وهي اللغة الإفريقية الأكثر انتشار في السنغال وغامبيا المجاورتين ، وتشير شهادات شفوية إلى أن هذه اللغة كانت مستعملة من طرف السكان منذ تاريخ يسبق تاريخ انتشارهم في موريتانيا. [١٠]

بينما يرجع بعضهم نشأة هذه اللغة إلى عهد أمير قوي من أمرائهم يدعي نداديان انجاي ، فقد سعى إلى توحيد اللهجات الإفريقية الكبيرة في لغة ذات جذور عربية فكانت الولفية ولذا كان نحو نصفها ذا أصل عربي إلا أن تحريفا كبيرا أدرك جلها.

ولا تختلف هذه المجموعة عن سابقتها السراغولي في الميل نحو الوحدة. [١١]

المكون الأمازيغي (صنهاجة أو البربر) :

هؤلاء من أقدم سكان البلاد حيث قدمت هذه القبائل إلى الإقليم ضمن هجرة قبائل البربر التي غادرت إفريقيا الشمالية خلال القرن الثالث الميلادي وتوجهت نحو الغرب وبدأت احتلال الصحراء من الشمال ، إلا أن بدايات هذه الهجرة كانت موغلة في القدم أي قبل الميلاد. [١٢]

ولقبائل البربر الفضل الأول في نشر الإسلام بين القبائل الإفريقية وقد حمل لواء نشره قبائل صنهاجة التي اعتنقت الإسلام في القرن العاشر الميلادي ، ويسكن

---

(٩) نصر السيد نصر: مرجع سابق ، ص ٤٥٤.

(١٠) بيار شارتران(مشرفا): مرجع سابق ، ص ١١.

(١١) محمد سعيد بن أحمدو: موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الإفريقي ، دراسة في إشكالية الهوية السياسية ١٩٦٠ – ١٩٩٣ ، نشر مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ ، ص ١٢٠.

(١٢) حماه الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، منشورات مؤسسة الزمن، الطبعة الثانية ٢٠١١ ، مطبعة النجاح الدار البيضاء ، ص ٢٠.

أفرادها ديار الصحراء الممتدة من موريتانيا إلى جبل حجار وإلى الجنوب إلى حدود السودان الغربي ، وكانت موريتانيا هي الجسر الذي عبر عليه مسلمو شمال إفريقية ليصلوا لزنوج غربها في أثناء دعوتهم الإسلامية الأولى في هذه البلاد. (١٣)

وتتكلم هذه القبائل اللغة الأمازيغية التي تسمى محليا «كلام أزناكة» ولا تزال تتكلمه قلة قليلة جدا من زوايا الترارزة ، وهو نوع من أنواع البربرية المغربية وموافق للسان الشلحي ويختلف عنه اختلافا قليلا كما بين لسان الترك والتتر «فإنا رأيناهم في سوسة يتفاهمون من أول وهلة. (١٤)

لكن أهل هذه اللغة وتحت عوامل كثيرة اجتماعية وسياسية تخلوا عن لغتهم تقريبا وتعربوا كما حصل في أماكن أخرى كثيرة من العالم الإسلامي فاختفت اللغة البربرية بشكل تدريجي من الساحة اللغوية الموريتانية ، تحت تأثير الضغط القوى الذي سلطته عليها العربية ، وقد كان هذه الاندماج قويا بحيث يكاد لا يوجد في موريتانيا الآن متحدث بالبربرية بكل ما تحمله الكلمة من معنى. (١٥)

المكون العربي:

بعد مراحل عديدة من الهجرة استقر المقام أخيرا بقبائل حسان في بلاد شنقيط في بداية القرن الخامس عشر الميلادي فاتخذوها لهم وطنا.

وكان لحسان ثلاثة أبناء هم دليم وودي وجم فاستقر دليم وأبناؤه وأتباعه وذراريهم في منطقة وادي الذهب وعلى ساحل الأطلسي ، وانتشر ودي وقومه في بلاد شنقيط إلى أطراف السودان ، وكان جم وقومه في قلب الصحراء من إكيدي إلى نهر النيجر. (١٦)

---

(١٣) نصر السيد نصر: مرجع سابق ، ص ٤٣٠.

(١٤) أحمد ولد الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السادسة ٢٠٠٨ ، ص ٥١٢.

(15) Franke Nicolas :La Langue berber de Mauritanei Dakar 1928 page 11.

(١٦) الخليل النحوي: بلا شنقيط أرض المنارة والرباط نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٧٨ ، ص ٣٢.

وبنو حسان هؤلاء من البدو المحاربين وهم وإن كانوا قليلي العدد إلا أنهم أخضعوا البربر وفرضوا عليهم سلطانهم وغيروا أحوالهم الاجتماعية وهم من العرب الساميين ، وقد اكتسبوا اسمهم من أحد أجدادهم المسمى حسان وهم من نسل معقل إحدى القبائل العربية الكبيرة التي نزلت الشمال الإفريقي في القرنين الحادي عشر والثاني عشرالميلاديين . (١٧)

وقد احتكرت قبائل حسان هذه العروبة لنفسها ولم يسمحوا منذ البداية بها لغيرهم ، ومع مرور الزمن اندمجت المجموعات الحسانية المهاجرة مع السكان المحليين إلى حد كبير ، فأصبحت العروبة لا تمثل عنصرا أو سلالة وإنما تمثل معنى وقيما للبطولة والتضحية والشهامة وصارت كلمة حسان في أحيان كثيرة تطلق على كل من يحمل السلاح سواء كان من القبائل العربية الحسانية أومن قبائل صنهاجة. (١٨)

رغم تعدد العناصر السكانية في بلاد شنقيط أوأرض الملثمين إلا أنه كانت ثمت قواسم مشتركة منذ قرون طويلة في المجال الثقافي الناظم للهوية بين مختلف المكونات السكانية في هذا المجال الصحراوي الشاسع الذي عرف على مدار تاريخه بأسماء متعددة مثل صحراء الملثمين وبلاد المرابطين وبلاد التكرور وبلاد شنقيط وتراب البيظان (١٩)

تعدد هذه العناصر أدى بطبيعة الحال إلى مشاركة قوميات ومكونات عديدة في كتابة تاريخ هذه البلاد محافظة على هويته الغنية بروافدها العربية والإفريقية والقوية بتجذرها في ثقافتها الاسلامية (٢٠)

حالة من التنوع السكاني تجعل هذه البلاد تكاد تنفرد به بين جيرانها سواء من حيث الخواص العرقية أو الخواص الثقافية ، حيث نجد الخواص العرقية العربية

(١٧) نصر السيد نصر:، مرجع سابق ، ص ٤٣٤.
(١٨) عبد الله السريع: مرجع سابق ، ص ٣٣- ٣٤.
(١٩) نفس المرجع، ص ٢٩
(٢٠) محمد المحجوب ولد بيه: مرجع سابق ، ص ٢٣

ذات البعد الثقافي العربي إلى جانب الشعوب الإفريقية بخواصها الثقافية الخاصة بها، إضافة إلى البعد الأمازيغي ، لكن لموريتانيا في حالة هذا الأخير خصوصية وهي أنه تقريبا اختفى تماما عكس جارتيها الشماليتين الجزائر والمغرب.

وبناء على هذا فقد درج بعض الباحثين إلى تقسيم سكان موريتانيا حسب اللون إلى بيظان وسودان، وحقيقة الأمر أن اللون ليس هو الأساس في هذا التقسيم

لأن مسمى البيظان كان يطلق حتى في المصادر العربية على الذين يتكلمون العربية من عرب أوبربر أوزنوج اندمجوا في مجتمع البيظان بينما وصف سودان كان يطلق على المتحدثين باللغات الإفريقية المختلفة(٢١).

ولم تكن الجيرة بين هذه المجموعات وليدة الفترة الحديثة وبالأخص المجموعتين الإفريقية والبربرية بل إنه مستمر منذ العهد الحجري القديم ، فقد كان في المنطقة تجاور بين مجموعتين سكانيتين مختلفتين ، إحداهما مجموعة قوم بيض قادمة من شمال إفريقية والأخرى قوم سود أو ضاربون إلى السواد تعود أصولهم إلى المنطقة المدارية الرطبة.

ولم يفتأ الخط الفاصل بين المجموعتين يبتعد جنوبا مع الزمن تبعا للتحولات المناخية المستمرة والمتسمة بتقلص الرطوبة والخصوبة في وجه الصحراء الزاحفة من الشمال وكذلك بتأثير العوامل التاريخية المنجزة جراء الاحتلال الروماني للشواطئ الشمالية من إفريقية والدافع بموجات من سكانها اتجاه الجنوب (٢٢)

لكن هذا الحد الفاصل بين المجموعتين أخذ في التقلص مع دخول الإسلام إلى هذه البلاد ثم هجرة القبائل العربية إليها ليتولد عن هذا ما يشبه النسيج الثقافي الواحد فكان تأثير اللغة العربية كبيرا على السكان الأصليين للمنطقة بربرا كانوا أم زنوجا.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هناك من الباحثين من فضل نعت هذا التأثير

(21) Ahmed Baba Miske :Al wasit ,Tableau de la Mauritanie au debut de XXe siecle , Mémoire Dakar19667 , page 27 .

(٢٢) أحمد ولد الحسن: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مساهمة في وصف الأساليب، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ ، ص ٣٧ – ٣٨.

بكلمة التعرب لا التعريب لأن القبائل المسيطرة لم تبذل جهدا منظما لتعريب مواطنيها(٢٣)

وتعود بداية انتشار اللغة العربية في المنطقة إلى نهاية القرن السابع الهجري مع بداية دخول الإسلام في الصحراء ، وهي ما يطلق عليها مرحلة التعرب الرسمي وتعني أن شيوع اللغة العربية الفصحى قراءة وكتابة وتخاطبا ظل محدودا بين الأوساط الأرستقراطية الصنهاجية ثم امتد لاحقا بين أطرافها والدائرين مباشرة في فلكها ، وقد تميزت هذه الفترة بأن التعرب فيها حصل بإرادة صنهاجية دون أن يكون حصل من متغلبين عربا.

وفي هذه الفترة تزحزحت الصنهاجية بقدر بسيط لحساب العربية على مستوى الطبقة الأرستقراطية وكان ذلك تمهيدا للفترة اللاحقة من التعرب الكلي مع هجرة القبائل العربية والتي ما كانت لتعطى نتائجها على نحو ما حصل لولا هذه الفترة التمهيدية الأولى (٢٤).

وكان لهجرة هذه القبائل العربية دور كبير في تغيير النسيج الثقافي لهذه البلاد رأسا على عقب حيث كانت السبب الرئيس في تغيير الخصائص القومية الأمازيغية وأصبح الكل مطالبا بالإندماج في وحدات اجتماعية من نوع جديد فعلى المستوى اللغوي مثلا بدأت الأسماء القديمة في الإندثار لتحل محلها تسميات عربية أمازيغية.

هذا التفاعل الاجتماعي الثقافي أدى إلى تعرب القبائل الأمازيغية بشكل متفاوت، فلا الصفات البدنية ولا أنماط العيش ولا اللغة تؤهل اليوم لتمييز الأمازيغ عن العرب، كما أن الاستعمال اللغوي وحده لا يدل بأي حال من الأحوال على الانتماء إلى إحدى المجموعتين. (٢٥)

---

(٢٣) على بكر سيسي: مرجع سابق ص ٤٥.

(٢٤) عبد الله ولد احميده: نشأة الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط ، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب ، جامعة القاهرة سنة ١٩٨٦ ، ص ٣٧.

(٢٥) محمد الأمين ولد الناتي: الثقافة الشنقيطية مقاربة نسقية، نشر المولف دون ذكر مكان أوتاريخ الطبعة ، ص ١٥٧ – ١٥٨.

لكن بعد مسار تاريخي معقد نشر بنو حسان لهجتهم العربية الملحونة «الحسانية» على كافة بوادى ومدن المجال الشنقيطي ، حيث اختفت تقريبا اللهجات الأمازيغية بربرية خالصة مثل الصنهاجية أو بربرية سودانية مشتركة مثل اللهجة المسماة كلام آزير ، وهي مزيج من السوننكية والصنهاجية ازدهر في مدن الساحل الموريتاني على طريق الملح بين بلاد السودان جنوبا وبلاد الصحراء شمالا وبلاد الحوض في الجنوب الشرقي صعودا إلى آدرار في الشمال الموريتاني حاليا إبان ازدهار التجارة بين تجار الذهب السوننكيين والحمالين المسوفيين ، وقد كان هذا اللسان واضحا في تيشيت وودان وشنقيط وتراجعت كذلك لغة السنغاي التي كانت رائجة في ولاتة في عهد الرحالة الحسن الوزان في القرن ال١٦ الميلادي. (٢٦)

ولم يكن هذا التفاعل الإيجابي مع الوافد الجديد مؤثرا فقط على النسيج الثقافي الأمازيغي بل امتد تأثيره إلى المكونات الثقافية الأخرى المتواجدة على أديم هذه البلاد، وساعده في هذا بشكل أساسي كون هذا النسيج الثقافي الجديد هو الوعاء الثقافي للدين الإسلامي الجامع لكل هذه المكونات حيث صارت اللغة العربية تؤدي دورا توحيديا في مجتمع كان يعاني تعددية لهجية عميقة بعضها لهجات أمازيغية قريبة من التاريقية وبعضها الآخر مختلط باللهجات الإفريقية كلهجة السوننكي والبعض الآخر صنهاجي خالص.(٢٧)

هذا التعدد العرقي والتفاعل بين مختلف مكوناته وتباعد أصولها المجتمعية والثقافية لم يكن في يوم من الأيام سببا في نشوب حرب بين مكونات المجتمع المختلفة رغم تبدل المكونات بين مرحلة وأخرى مما جعل بعض الباحثين يفترض دخول المجتمع الشنقيطي مع العصر الحساني مرحلة حضارية جديدة برزت فيها سمات وظهرت خصائص وتجددت أحوال جعلت التراث المكتوب يظهر بعد أن لم يكن أو ينسخ جديده القديم إن كان.(٢٨)

(٢٦) حماه الله ولد السالم: الاسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى ، دراسات ومراجعات. مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠١٠ ، ص ٢١٤ – ٢١٥.

(٢٧) على بكر سيسي: مرجع سابق ، ص ٤٦

(٢٨) أحمد ولد الحسن: ، مرجع سابق ص ٧٣.

ورغم وضوح التحول الثقافي الذي شهدته هذه البلاد في مرحلة معينة من تاريخها إلا أن تاريخ هذا التحول بالضبط غير معروف حيث لا يعرف بالضبط التاريخ الذي أصبحت فيه اللغة العربية الدارجة المسماة الحسانية الأكثر انتشارا في البلاد الموريتانية لكن الراجح أن ذلك تم بشكل تقريبي مع القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي لكنه لم يصبح واضحا إلا مع القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي. (٢٩)

لكن هذا التحول الثقافي الذي حصل في جميع الفئات بطريقة أو بأخرى لم يكن قصريا من الفئة الحسانية صاحبة القوة الأكبر آنذاك لأنها جاءت دون أن تحمل معها معارف ولا دعوة لأنها قبائل محاربة شأنها شأن الحرب والغزو. (٣٠)

لكن ربما لا يتضح هذا التغير الثقافي أو هذا التحول الثقافي إلا عن طريق فهم الثقافة الشنقيطية واستصحاب لفهم عقلية الفئة صاحبة النصيب الأكبر من المعرفة وهي فئة الزوايا التي من أبرز ملامحها التدين العميق والولع بالمعرفة العربية الإسلامية إلى حد التفنن والافتتان(٣١).

ولم يقتصر الاهتمام باللغة العربية على الزوايا فقط فنجد المجتمع السوننكي بدوره يعتني بالقرآن والحديث وتعلم اللغة العربية التي انتشرت بينهم وتركت أثرها البالغ في لغتهم(٣٢).

ولم يحصل هذا الأمر دفعة واحدة أو بصورة سريعة مفاجئة بل جاء على مراحل، فكان الإسلام فتحا ثقافيا هو العامل الأبرز فيما حصل فقبل أن يصل العرب البلاد ويحكموها كان هذا الفتح الثقافي فتحا عربيا هيأ الصنهاجيين ومهدهم تمهيدا ليكونوا عربا يحرصون على انتمائهم العربي كما يحرصون على عقيدتهم الإسلامية.

---

(٢٩) حماه الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية ، منشورات الزمن ، مطبعة النجاح، الدار البيضاء ، الطبعة الثانية ٢٠١١ ، ص ١١٢.

(٣٠) على بكر سيسي: مرجع سابق ، ص ٤٥.

(٣١) أحمد ولد الحسن: مرجع سابق ، ص ٦١.

(٣٢) على بكر سيسي: مرجع ستبق ، ص ٤١

ثم جاء بنو حسان فأكملوا ما كان الصنهاجيون بدأوه من تعريب المجتمع وانطلق في البلاد تياران قويان يتبادلان التأثير يشد كل واحد منهم الآخر تيار العلم وله في الزوايا قوة ومدد وتيار العروبة وله في حسان عدة وعدد ، ولم تلبث صحراء الملثمين أن تعربت تعربا شاملا لم تشهد بلاد المغرب العربي مثله(٣٣).

ومما جعل هذا التحول تحولا كليا شمل فئات السكان الأصليين أن الدخول في الإسلام شمل الجميع بما فيهم السكان الأول لهذه البلاد من الشعوب الإفريقية المختلفة حيث دخلت جميع القبائل الإفريقية في الإسلام كما اتخذت قطاعات من الزنوج الحسانية لغة وطنية لها، ولذلك نجد أن كل المحاولات الاستعمارية لفصل الزنوج عن موريتانيا وضمهم إلى السنغال باءت بالفشل لأن هذه الفكرة لقيت معارضة شديدة حتى من السود أنفسهم إذ أن الاختلاط والتمازج بينهم ظل قائما ويتضح ذلك مثلا في كيهيدي(٣٤).

ولهذا نشأ تفاعل عز نظيره بين هذه الشعوب والشعوب الوافدة الجديدة، وهذا ما جعل بعض الباحثين يجزم بأن علاقة المجتمع السوننكي – منذ اعتناقه الاسلام – باللغة العربية علاقة تفاعل واستيعاب ولم تكن أبدا علاقة أملتها ظروف في وقت ما، ثم غابت تلك الظروف، لأن اعتراف ملوك غانا بفضل العرب وتفوقهم في المجال الثقافي هو الذي بوأهم المناصب العليا(٣٥).

وقد بلغ التفاعل بين الوافدين الجدد والسكان المحليين أنه مع مرور الوقت اندمجت المجموعات الحسانية المهاجرة مع السكان المحليين إلى حد كبير فأصبحت العروبة لا تمثل عنصرا أو سلالة وإنما تمثل معنى وقيمة للبطولة والتضحية والشهامة وصارت كلمة حسان تطلق على كل من يحمل السلاح سواء من القبائل العربية الحسانية أومن قبائل صنهاجة(٣٦).

---

(٣٣) الخليل النحوي: مرجع سابق ، ص ٤٠.

(٣٤) نصر السيد نصر :مرجع سابق ، ص ٣١

(٣٥) على بكر سيسي:، مرجع سابق ،ص ٩٥- ٩٦.

(٣٤) عبد الله السريع: مرجع سابق ، ص ٣٣ – ٣٤.

الخاتمة

على مدار تاريخ هذه البلاد كانت هناك عوامل عدة أسهمت في تشكيل هويتها بداية من السكان الأصليين من العنصرين الإفريقي والأمازيغي وماكان بينهما من تفاعل على هذه الأصقاع قبل مجيء قبائل حسان العربية إلى هذه البلاد في القرنين الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، لكن رغم تعدد هذه العوامل بما فيها اللغوي والعرقي إلا أن انتشار الإسلام جعل بعض الساكنة يتعربون ثقافة كما في الحالة الأمازيغية في البلاد ، فنتج عن التفاعل الإيجابي بين الوافدين الجدد والسكان الأصليين من الأمازيغ تعرب شبه كامل للقبائل الأمازيغية وإن تفاوت ذلك التعرب قليلا من جهة إلى أخرى ، ولم تقتصر نتائج هذا التفاعل على المكون الأمازيغي فحسب بل انتقل إلى المكونات الأفريقية فأسهم في تشكيل نسيج ثقافي تؤدي فيه اللغة العربية دورا توحيديا بين النسيج الثقافي المختلف للسكان ، هذا النسيج الثقافي الذي نجم عن هذا التفاعل ساعد بشكل كبير في عدم نشوب حرب بين مكونات السكان المختلفة رغم تعدد أعراقهم وتباعد أصولهم الثقافية ، فانتشرت اللغة العربية بين مختلف السكان وكان الإسلام فتحا ثقافيا هو العامل الأبرز فيما حصل من تحول ثقافي في هذه البلاد.

قائمة المصادر والمراجع

- أبوبكر خالدو با: حركة الفلاح للتربية والثقافة الإسلامية (الحاج محمود با) نسخة مصورة لدى حفيد الحاج محمود با، نواكشوط ٢٠١٦
- أحمد ولد الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السادسة ٢٠٠٨ .
- أحمد ولد الحسن: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مساهمة في وصف الأساليب، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، الطبعة الأولى ١٩٩٥ .
- حماه الله ولد السالم: الاسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، دراسات ومراجعات. مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٠ .
- حماه الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، منشورات الزمن، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ٢٠١١ .
- الخليل النحوي: بلا شنقيط أرض المنارة والرباط نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٧٨ .
- عبد الله ولد احميده: نشأة الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب، جامعة القاهرة سنة ١٩٨٦.
- على بكر سيسي: تاريخ المجتمع السوننكي في موريتانيا، مطبعة طوب بريس، الرباط المغرب، الطبعة الأولى ٢٠١٢.
- محمد الأمين ولد الناتي: الثقافة الشنقيطية مقاربة نسقية، نشر المولف دون ذكر مكان أو تاريخ الطبعة.
- محمد المحجوب بن بيه: المقاومة السوننكية للاستعمار في كيدي ماغة، نشر مكتبة القرنين ١٥ -٢١ انواكشوط، دون ذكررقم الطبعة أو مكانها.
- نصر السيد نصر(مشرفا): الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٨.
- موريتانيا بين الإنتماء العربي والتوجه الإفريقي دراسة في إشكالية الهوية السياسية ١٩٦٠ – ١٩٩٣، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- الوضع اللغوي في موريتانيا: مجموعة باحثين تحت إشراف بيار شارتران، ترجمة عبد الحميد منصور، نشر المدرسة الوطنية للإدارة، انواكشوط، ١٩٨١.

- Ahmed Baba Miske :Al wasit ،Tableau de la Mauritanie au debut de XXe siecle ، Mémoire Dakar19667.
- Ba Omar :France parler Toucouleur Bulletin de l I F A N.
- Franke Nicolas :La Langue berber de Mauritanei Dakar 1928.